**المحاضرة الثالثة: علاقة النقد بالعلم**

**التيار العلمي:**

أصبح للنقد مناهج خاصة به تميزه و تحدد له حيزا وسط باقي العلوم" فلم يعد الدارس يكتفي بالمعاني اللغوية، و النكت النحوية ، و الصور البيانية للألفاظ و التراكيب، لكنه جاوز ذلك إلى منهج عريض عميق، يعتبر الأدب ثمرة طبيعية لشيئين، البيئة و الأديب و يريد بالبيئة أهم ما تحمل من معنى، لتشمل جميع المؤثرات الطبيعية، والصناعية، و السياسية و الاجتماعية و العلمية و الفنية التي توافرت لشعب ما في عصر من العصور فكانت عوامله الأدبية و تربته الصالحة لنضج الأدب و غرس الأدباء"[[1]](#footnote-1).

وعمل سانت بيف St. BEF لم يكن سوى بوابة من خلالها دخل النقد عالم الموضوعية و العلمية و قد أسهم في إرساء دعائمها هيبوليت تين Hippolyte tin إذ" نجح أكثر من غيره في تبرير وجود النقد العلمي و في رسم مبادئه، يجب أن لا نحكم إلا باسم مقاييس موضوعية، و أن نبحث بلا كلل عن المميزات و الأسباب و مع ذلك فإنه لم يكن إلا مثاليا مشغوفا بالتجريد، و فكرا نظريا نظاميا قليل القدرة على الملاحظة الدؤوبة الدقيقة ، و لا نجد في نقده، بالرغم من الظواهر، إي إلمام مجد بالسببية الاجتماعية، و لا أي مفهوم جدي عن السببية النفسية" [[2]](#footnote-2)، فكان سانت بيف وهيبوليت تين أولى النقاد الذين أرسوا دعائم العلمية و الموضوعية إلى عالم النقد في العصر الحديث و محاولاتهم لم تكن سوى البداية التي أعقبتها مجهودات أخرى أدخلت النقد في مجال العلم و جعلت منه مجالا لكل العلوم و المعارف في هذا العصر.

فارتبط النقد في بدايته بباقي العلوم التي ظهرت في عصر النهضة، و كان يؤدي وظيفة لخدمتها و تعلق الأمر في بدايته بعلم النفس و علم الاجتماع... و أساس هذا الارتباط هو الاعتقاد بانعكاس الأدب نتيجة حالة نفسية معينة أو واقع ما.. ورد الأدب لهذه الأسباب، فـ" هانكان يعتبر النقد بوجه خاص وسيلة لتحليل حالات نفس لدى فرد أو بيئة، إننا نستطيع أن نتساءل لو قبلنا هذه النظرة إلا أن تسمح المعرفة المسبقة لظروف الأثر بإيضاح أكثر واقعية للأثر الأدبي، على كل حال فإن حركة جدلية قد تكون أكثر منطقية، خاصة و أن الأثر وحده لا يستطيع أن يمدنا بالمعلومات عن نفسية الكاتب، إن علم النفس التحليلي قد أدرك ذلك، و هناك كثير من التحفظات حول علم النفس الاجتماعي الذي ورثه هانكان عن تين، و الذي منعه أن يرى تنوع الطرائف التي يعبر بها الكاتب عن وؤية العالم الخاص لمجموعة من الناس هو رسولها الحي و الشاهد عليها" [[3]](#footnote-3).

والبحث في التيار العلمي هو إحالة مباشرة لمفهوم المنهج كما أشار إليه ديكارت Descartes بعد استثمار الفلاسفة اليونانيون القدماء" في مقابل أرسطو و علم العصور الوسطى، صار للكواكب تاريخ، و أصبح للكون تاريخ، أصبحت البقع الشمسية أيضا تاريخية، و انتهت فكرة أرسطو عن النجوم الخالدة، و غير القابلة للفساد و السموات الخالدة، و افترض ديكارت خلق الكون من الحركة و تركز المادة، و استعاد ديكارت فكرة جاليلو عن العالم الواحد، أي فكرة العالم المتغير من دون تقسيم العالم إلى عالم سفلي متغير و آخر علوي خالد، و القاعدة الثالثة من قواعد لهداية الروح عن العلاقات بين الحدس و الاستنباط تحلل ما نقدر أن نستخلصه من القدماء، و قد اكتشف ديكارت أن قراءة القدماء لا تنفع من دون منهج كما اكتشف أن علماء الرياضيات القدماء كانوا لا يمتلكون منهجا بمعنى أنهم كانوا يكتشفون خواص الدوائر، تمثيلا لا حصرا، الواحدة تلو الأخرى، من طريق حيل بعينها، لذلك كان هدفه في الجزء الثاني من خطاب في المنهج، صياغة المبادئ الجديدة أي المنهج" [[4]](#footnote-4) .

وفكرة الوصول إلى منهج كانت وجودا أكده كانطKant عندما انتصر العلم على المعتقد و صار للعقل سبل أخرى للتفكير غير السبل العقيمة التي كانت تمليها الكنيسة، فبحث كانط في خطأ المعتقد و زيفه مقارنة بالمنهج الذي ارتبط بمعايير علمية" كان يسود القرن السابع عشر نوع من الشك الذي مارسه مونتاني montaigne كما ساد ذلك القرن التناحر بين العقل و الاعتقاد حيث كان الاعتقاد غير عقلي بطبعه، في ضوء ذلك، كان طموح ديكارت الصريح هو أن يعيد بناء الفلسفة، في كتاب الأولمبيكا روى الكواليس التي كانت تطارده و الأشباح التي كانت تطارده في الكنيسة، و كانت هذه الأشباح تشير إلى الخطأ الذي كان يضايقه، من هنا استخلص ديكارت قواعد المنهج لهداية الروح العلمي و صاغ مقاييس الصواب و الخطأ، و مقياس استخراج الصواب من الخطأ، و قد قصد بذلك أن يضيف نظاما جديدا للتحولات التي طرأت منذ ثلاثة أجيال" [[5]](#footnote-5).

وكلها روافد و مرجعيات ساهمت في صبغ النقد الأبي الحديث صبغة مختلفة عن سابق عهده، و صار يملك آليات منهجية تحيل إلى انتمائه و انفصاله عن علم معين.

1. - كارلوني و فيللو : النقد الأدبي، ص 35. [↑](#footnote-ref-1)
2. - المرجع نفسه، ص 49. [↑](#footnote-ref-2)
3. - كارلوني و فيللو : النقد الأدبي، ص ص 63-64. [↑](#footnote-ref-3)
4. - وائل غالي:تاريخ العلوم العربية و تحديث تاريخ العلوم – بحث في إسهام رشدي راشد- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- 2005، ص 60. [↑](#footnote-ref-4)
5. - وائل غالي:تاريخ العلوم العربية و تحديث تاريخ العلوم – بحث في إسهام رشدي راشد -، ص 60. [↑](#footnote-ref-5)